توقير الصحابة واجب

إذا رأيت الرجل ينال الصحابة أو أحدهم فاتهمه على الإسلام وأنفض يديك منه فإن هذا النيل علامة مرض في القلب وخور الضمير ورذالة النفس لأن الله زكاهم والرسول ﷺ رباهم وقد شهدوا التنزيل وعرفوا التأويل فمن تعرض لهم بعد هذا فقد أراد الله هوانه وكتب خزيه وحل به سخطه ومقته فالله الله في الدفاع عنهم والذب عن أعراضهم، وتوقيرهم ومعرفة مناقبهم والعيش مع سيرتهم العطرة الفريدة والترضي عنهم وحبهم وحسن الظن بهم وبغض من أبغضهم. واعلم أن من هوان الرافضة على الله سبهم لأصحاب محمد ﷺ وهذا العمل الشنيع من الرافضة والتصرف الفظيع لا يتم إلا بخذلان من الله فقاتل الله أعداء الصحابة وقطع دابرهم وزلزل دورهم وخسف بهم الأرض من تحتهم كيف يجترىء قلب باتهام الصحابة؟! وهم آيات في الطهر نجوم في المثل قصص في التضحيات ملاحم في البطولات أحاديث في المناقب..؟ اللهم إني أحببت الصحابة فاحشرني معهم يا أرحم الراحمين.

نتائج بحث

بحثت عن العلماء فإذا قليلهم عامل مخلص، وطوائف منهم وقعوا في الجدل والحسد والمباهاة وحب الدنيا، بحثت عن الشباب فإذا غالبهم وراء الرياضة والفن والمغريات، بحثت عن التجار فإذا التعامل المحرم والربا والغش والتحايل وإهمال الدين، أما العامة فغالبهم جهلة قعدت بهم هممهم عن طلب العلم والسؤال عن دينهم،

وغالبهم وراء الدنيا والقيل والقال والفنون الشعبية، أما النساء فجلهن في غفلة مع سوء عشرة، وتعرض لفتنة، وتضييع حق، فعفوك يارب.

توسط في الأمور

رأيت من يتأنق في لباسه ويتعب نفسه في هندامه حتى أصبح يخدم لباسه بدل أن يخدمه هذا اللباس، فلا تتزين تزين المرأة ولا تتبذل تبذل المملوك بل توسط بين ذلك مع النظافة وطيب الرائحة. ورأيت من الشباب من يتمشلح ويلبس بشتا بين الناس فيجلب نظر الناس ويشتهر به وهو ليس ببارع في علم أو عبادة أو منصب وفي الجمع من هو أرفع منه ولباسه كلباس عامة الناس. ومنهم على الضد من ذلك يلبس ثوبا باليا وغترة متهالكة مع بعثرة الهندام وشعث الرأس واللحية ليخبرنا بأنه عالم الزهاد وبركة العباد. وخير الأمور أوساطها وما أحسن مسايرة ما عليه غالب الناس في اللباس لأن الشهرة فيه مذمومة والتكلف ممقوت سواء في اللباس أو غيره. فإن الصحابة لما أطرحوا التكلف نفع الله بعلمهم ووعظهم وعاشوا اليسر ونحن تكلفنا في غالب أمورنا فمنا من إذا وعظ زوق الكلام وأغرب على الناس وأظهر من الخشية ما ليس في قلبه واشتكى من تقصير الناس وهو على شاكلتهم ومنا من يقتحم الفتيا بلا ورع لكن خشية أن ينسب إلى التقصير ومنا من إذا ذكر الحديث سرد أسماء من خرجه من الأئمة في كتبهم طلباً للعلو والزلفى عند الناس والحظوة لديهم ليكبر في عيونهم وهذه معاملة غير الله وقلَّ أن ينفع هذا الوعظ والفتيا والتدريس لأنها بلا روح.

فسبحان العالم بما في القلوب! ورحم الله امرأً أصلح سريرته.

متاع الغرور

أعرف تاجراً كبيراً جمع من الدنيا ما لو وزع على أهل مدينة لصاروا أغنياء، أصابه شلل ثم نقل من مدينته إلى مدينة أخرى ليتعالج فمات فجأة بعيداً عن أهله وأولاده، فتصدق عليه أحد المسلمين بكفن، فسبحان الله ما أحقر الدنيا، وأحقر من اغتر بها ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾.

احذر التجريح

أنهاك نهيا جازماً عن التجريح وهو غمز وهمز الهيئات والجمعيات والشخصيات لأن هذا مذهب متصيد العيوب متطلب العثرات وبهذه الطريقة يكون الناس كلهم لك أعداء وتخسر الناس بثمن بخس فعليك بالبناء ولا يكن همك النقد واثن على الجانب المشرق في حياة الناس. أما الرد على المبطل فبقدر دفع شبهته ومنع بدعته ودحض باطله وحماية الملة وصيانة الدين وما زاد على ذلك فلا خير فيه ولا نفع من ورائه. وفي عيوبنا شغل شاغل لنا عن عيوب الناس، واعلم أن من اشتغل بعيوب الناس وخطاياهم قيض الله من ينبش عن عيوبه ويهتك ستره ويظهر عواره جزاءً وفاقاً. ومن ذب عن أعراض المسلمين وقبل عذرهم وأحب سترهم جند الله له من يذب عن عرضه وينشر محاسنه، ويثني عليه. واعلم أن الاحتمال دفن للمعايب وأن الجزاء من جنس العمل.

النجاح يبدأ بحسن القصد أولاً

وهو أن ينوي العامل الخير ويريد الفعل الجميل فلا تنطوي نيته على فساد أو فعل مشين ضار يضر بنفسه أو بالناس حوله من أقوال السوء وأفعال الشر فإن النفوس الشريرة ليست ناجحة بل هي ضد النجاح فليس كل من أثر في الناس وترك تاريخاً وصياً ناجحاً بالضرورة فلست أرى الحجاج بن يوسف وأبا مسلم الخرساني والحاكم العبيدي الفاطمي ناجحين ولو أنهم تركوا آثارا وقدموا أفعالا لأنهم أساؤا السيرة وأخطأوا في أعمالهم وكذلك هتلر النازي ولينين وستالين وماوتسي تنج والشيوعيون، فليست الشهرة والظهور هو النجاح فإن الشيطان من أشهر الشخصيات لكنه الغاوي الأكبر في العالم. وكم من رجل مغمور لا يعرف وهو ناجح كبعض العباد والتجار والفلاحين والزهاد بل قد يكون الخمول وعدم الصيت من أسباب نجاح هؤلاء، إذاً فالقصد الحسن وإرادة الخير هو العامل الأول في النجاح ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾.

فقه التأريخ

ينبغي لمن يقرأ التأريخ ألا يكون همه المتعة فحسب من سماع الأخبار ولكن عليه بالاتعاظ من قصص التأريخ فإن الله قص علينا في كتابه لنتعظ. ثم على القارىء أن يتعرف على سنن الله عز وجل في الأمم والدول والملوك فيحلل ما يقرأ ويجمع القرين إلى قرينه والشبيه

إلى شبيهه ليكون ذا بصيرة ووعي فمثلا يطالع تطبيق سنة الله في الأمم وهي **أن المكر السيىء لا يحيق إلا بأهله**، فينظر في التأريخ ليجد قصصاً كثيرة تؤيد هذه القاعدة فكم من ماكر حبك لغيره ومكر بسواه فعاد مكره على نفسه وصرع بمثل ذاك المصرع. ومثل قاعدة: **إن الله لا يصلح عمل المفسدين**. يجد في التأريخ أمثلة على ذلك كالدعوات التي قامت على الفساد والخراب فإنها انتهت إلى البوار. ومثل قاعدة **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا** فإن الظلمة إذا بالغوا في الظلم ووصلوا إلى ذروته حل بهم الدمار ولحقهم الزوال وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ تجد أن هذه القاعدة لا تتخلف ولا تتبدل على مر التأريخ تجد أن أصحاب الدول وسادتها إذا بلغوا في الفساد ذروته والترف نهايته أصابهم داء الأمم قبلهم فحل بهم الوعد الأكيد من الدمار والخراب.

فعلى من طالع التأريخ أن يعي ما يقرأ ويطالع قدرة الله في خلقه من ولاية وعزل وإكرام وإهانة ونصر وخذلان. أما قراءة التأريخ لمجرد الاطلاع والمتعة فالكل يجيدها وهذه لا روح فيها ولا فقه. ثم إن في قراءة التأريخ مسألة الاعتبار والعظة فيتعظ القارىء بما يقرأ فتردعه قراءته عن الظلم لما يرى من أحوال الظلمة ولا يركن إلى الدنيا لما يرى من تقلبها بأهلها وعليه بالزهد فيها لما يعلم من سرعة زوالها، وينتظر الفرج إذا حل به كرب لما سمع من حصول اليسر بعد العسر ولا يغبط أهل المناصب والجاه والمال لعلمه أنها عارية وليصلح عمله فهو الباقي معه ثم لينظر فيمن ذهب من الأمم بقيت أخبارهم وسيرهم

إن خيرا فخير، وإن شرًّا فشر، فليجتهد في إصلاح عمله وحسن خلقه:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

تأليف الكتب

غالب من ساهم في إبعادنا عن النصوص، بحسن نية، حينما أتى ليشرح النص، نجح نجاحاً كبيراً باهراً، في قطع صلتنا بهذا الفيض الغامر المتدفق من الكتاب والسنة. ولقد أصاب العالم الكبير عبد الرزاق عفيفي وكان من أعظم صفاته رجاحة العقل وسداد الرأي، أصاب في أمنيته أن لا يكون هناك إلا قرآن وسنة خالصة من كلام الناس، بل ذهب إلى اقتراح رمي كل كتاب غير الوحيين في البحر، وكنت أستغرب هذا الرأي حتى غامرت في قراءة الشروح والتفاسير والتعليقات والردود، فإذا بي أبتعد رويداً رويداً عن مصادر العلم النافع ومنابع الهداية الربانية كتاباً وسنة، ولو لم أعش هذه التجربة لما أعجبني قول الشيخ عبد الرزاق هذا.

وقد قالوا في مجال التجارب إن مكتشف الكهرباء توماس أديسون جرب مئات البطاريات قبل اكتشافه الكهرباء وكل هذه البطاريات كانت غير صالحة لهذا الاستكشاف، فقيل له: أضعت العمر والجهد في هذه البطاريات، فقال: لقد استفدت من هذه التجربة أن هذه البطاريات لا تصلح مرة ثانية، فارتحت من العودة إليها، وعن طريق هذا الإخفاق وجدت النجاح.

لقد كان أهل الفضل والعلم والصلاح إلى عهد قريب يتناولون الكتاب والسنة تناولاً سهلاً ميسوراً بلا شرح ولا حواش ولا زيادات، وانظر إلى تأليف الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة في تقيدهم بالنص وبعدهم عن الحشو، وعلى هذا سار كثير من أهل العلم في تركهم الإسهاب عند تقرير النص تدريساً وتعليماً، ولن أنسى رجلا صالحاً كان من أهل القضاء قديماً وهو من بقية السلف في هديه وسمته وكان إماماً في الملز بالرياض وكان أعمى فطلب من طالب علم أن يقرأ علينا بعد كل عصر أحاديث من رياض الصالحين، فكان الطالب يقرأ علينا الحديث مجرداً بلا تعليق ولا شرح، فتنشط أرواحنا، وتخشع قلوبنا، وتنشرح صدورنا، ثم بدا لهذا الطالب أن يعلق على كل حديث يشرح لنا كلام الرسول ﷺ أفصح الناس فلما شرع يشرح زجره الشيخ وصاح به: دعنا من كلامك، اقرأ الحديث فقط ويكفي.

وهذا هو الصواب، لأن الحديث ما هو إلا كلام من بكى لوعظه المنبر وهو من عود، والحديث غني بروايته وإشراقه وجماله عن بسط ألكن وعن شرح متحذلق إلا ما دعت إليه الضرورة الملحة.

ووفد من القويعية رجل عابد زاهد حافظ للقرآن طال عمره في الطاعة يدعى هميجان القحطاني فلما صلى مع أحد الأئمة في الرياض قام بقراءة بعض الأحاديث، ثم أخذ هذا الإمام يحلل الكلمات لغويًا، فصاح هذا الرجل: هذا حشو، وقام من المسجد.

إن فكرة تأليف الكتب غير القرآن والسنة فكرة طارئة تكلم فيها

بعض العلماء، فقد نقل عن الإمام أحمد بن حنبل أنه أنكر تأليف الكتب، وكره ذلك، والأصل في هذا منعه ﷺ كتابة حديثه ثم إذنه بعد ذلك للحاجة وهذا في الحديث خاصة، وهو كلام المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وفي حديث صحيح: «إنما ضل بنو إسرائيل لما كتبوا كتابا وتركوا التوراة» ولما رأى عمر رضي الله عنه رجلا يقص على الناس من كتاب دانيال ضربه بدرته، وقال: تقص علينا من كتاب دانيال، والله يقول: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ ولم يكن عند الصحابة كتاب غير القرآن، وكانوا يحفظون الحديث عن ظهر قلب حتى عصر التابعين..

دراسة الأدب

ليت الطلاب لا يدرسون نقائض الفرزدق وجرير لأن فيها قاموس الشتم والسباب والقذف والفحش، والطالب بحاجة إلى سلامة ذوقه وطهارة ضميره من ساقط القول ومرذول الحديث. وأحسن من نقائض جرير والفرزدق قصائد الكرم والشجاعة والصبر والزهد والإحسان إلى الناس وهذا متوفر في أشعار العرب المحفوظة. وما أدري ما هو مقصد من قرر على الطلاب هذه النقائض والهجاء المقذع؟ أليس هذا عدوان على الأدب وثلم للدين وخرم للمروءة فأين العقل والدين؟.

يقولون لي: فيك انقباض

هذه قصيدة العلامة القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز

الجرجاني الأديب النابغة حسنة جرجان، وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة العلم، ودرة تاج الأدب، جمع بين خط ابن مقلة ونثر الجاحظ ونظم أبي تمام وقصيدته هذه هادرة بالقيم مليئة بالشمم مرصعة بالهمم، وهي بديعة ذائعة، فريدة رائعة، عجيبة شائعة إنها تثب إلى قلبك مباشرة وتغوص إلى أعماقك وتسافر في دمك وتصل إلى خلدك في سرعة الضوء ورقة الغيث ودبيب السحر، إنها مسك وعنبر وياقوت وجوهر وريحان معطر ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أدعها بين يديك فاقرأها بلا نثور، وارجع البصر هل ترى من فطور، ربِّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي القارىء فليسافر مع شوارد الإيمان يوم يرسلها العلماء الأفذاذ في سماء المثل وفي دنيا السجايا الحميدة، إنها قصيدة أخاذة ثائرة خلابة فيها أسرار وحديث لا ينتهي وشجون لا تنقضي وذكريات تمور مور الموج الصاخب الهادر الغاضب وتمر مرّ السحاب المتدافع المتلاحق وتسعى سعي الريح الهائجة. وهكذا فليكن الشعر عذوبة ورقة ومخاجة وجزالة، وسمواً ونبلاً وإيحاءً وتأثيراً، والآن أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه وأترككم مع القاضي الشاعر المؤثر الجرجاني:

يقولون لي: فيكَ انقباضٌ وإنما ... رأوا رجُلًا عن موقفِ الذُّل أحْجما
أرى الناسَ مَنْ داناهم هانَ عندهم ... ومن أكْرَمَتْه عزة النفس أُكْرِما
ولم أقض حقَّ العلم إن كنت كلما ... بدا مطمعٌ صَيَّرْتُهُ لي سُلَّمَا
وما زلتُ منحازاً بِعرضي جانبا ... عن الذُّلِّ أعتد الصيانة مغنما
إذا قيل: هذا منهلٌ قلتُ: قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

أنـزهها عـن بعـض مـا لا يشينها ... مخـافـة أقـوال العِـدا: فيـمَ أو لِمَـا؟
فـأُصبـح عـن عيـب اللئيـم مسلَّمـاً ... وقد رحتُ في نفس الكريم مُعظَّما
وإنـي إذا مـا فـاتنـي الأمـرُ لـم أبِتْ ... أُقلِّـبُ كفّـي إثـرهُ مُتنـدمـاً
ولكنـه إن جـاء عفـواً قبلتـهُ ... وإن مـال لـم أُتبِعـهُ هـلَّا وليتمـا
وأقبـضُ خطـوي عـن حظـوظ كثيـرةٍ ... إذا لـم أنلهـا وافـر العـرض مُكـرما
وأُكـرمُ نفسـي أن أُضـاحـك عـابسـاً ... وأن أتلقَّـى بـالمـديـح مُـذَمَّمَـا
وكـم طـالـب رقّـي بنعمـاه لـم يصـل ... إليـه وإن كـان الـرئيـس المُعظَّمـا
وكـم نعمـة كـانـت على الحُـرِّ نقمـةً ... وكـم مغنـم يعتـدُّه الحُـرُّ مغـرمـا
ولـم أبتـذل فـي خـدمـةِ العلـمِ مُهجتـي ... لأخـدمَ مـن لاقيـتُ لكـن لأُخـدَمَـا
أأشقـى بـه غـرسـاً وأجنيـه ذلَّـةً ... إذاً فـاتِّبـاعُ الجهـلِ قـد كـان أحـزمـا
وإنـي لـراضٍ عـن فتـىً مُتعفِّـفٍ ... يـروح ويغـدُو ليـس يملـكُ درهمـاً
يبيـتُ يُـراعـي النجـم مـن سـوءِ حـالـهِ ... ويُصبـحُ طلقًـا ضـاحكـاً مُتبسِّمـاً
ولا يَسـألُ المُثـريـن مـا بـأكُفِّهـم ... ولـو مـات جـوعـاً عِفَّـة وتكـرُّمـاً
فـإن قلـتَ: زنـدُ العلـمِ كـابٍ، فـإنمـا ... كبـا حيـن لـم نَحـرُسْ سمـاهُ وأظلمـا
ولـو أنَّ أهـل العلـمِ صـانـوهُ صـانهُـمْ ... ولـو عظَّمـوهُ فـي النفـوسِ لعُظِّمـا
ولكـن أهـانـوه فهـانـوا ودنَّسـوا ... مُحيَّـاه بـالأطمـاع حتـى تجهَّمـا
ومـا كـلُّ بـرق لاحَ لـي يستفـزُّنـي ... ولا كـلُّ فكـري مُنجـداً ثـم مُتهِمـا
إلـى أن أرى مـا لا أغَـضُّ بـذكـره ... إذا قلـتُ: قـد أسـدَى إلـيَّ وأنعَمَـا

تأمُّـلات

للنفس إقبال وإدبار، وإشراق وانطماس، ونشاط وفتور، وخير

ما روضها المسلم عليه هو هدي رسول الله ﷺ، فتعطي النفس حقوقها من المباح وتستوفي حظوظها من الطاعة.

وترك الرسوم والقيوم أقوى للنفس وأيسر عليها، فلا عبادة مخصوصة إلا ما ورد بها الشارع الحكيم، ولا لبسة مخصوصة وكذلك الجلسة والنوم والأكل والأوراد والنوافل، وتخصيص بعض الأوقات ببعض العبادات والتكاليف بما لم يرد مشقة وعنت، واغتنام نشاط النفس فقه جليل، وتركها عند الخمول والكسل هدي نبيل، فمثلا في قراءة القرآن يجدد على النفس بالأساليب ما ترتاح له، فمرة نظراً ومرة غيباً ومرة حدراً ومرة ترتيلاً ومرة سرًّا ومرة جهراً ومرة ليلاً ونهاراً، وصبحاً وضحىً وظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً، وعلى حسب القوة والرغبة قلة وكثرة.

فمثلاً الصلاة، وفترة النشاط وما يصاحبها من خشوع وإقبال فتغتنم، وعند الإدبار والفتور يسدد ويقارب حتى يعود بارق الأمل وسابق العهد، وتطويلها مرة وتخفيفها مرة أخرى وتكثير نوافلها عند النشاط والصحة والفراغ.

وكذلك قيام الليل يغتنم صفو النفس ونشاطها في ليلة وكأنها آخر ليلة ويسدد عند فتورها اعترافاً بطبائع النفوس ونقلها في أوقات الليل بين أوله ووسطه وآخره، وبين الصلاة بين جودة وضعف وقلة وكثرة بلا تحديد بل كأن ليلة الصفو لا تعود فتغتنم، وكأن ليلة الفتور لابد منها فلا بأس ولا انكسار، وكذلك الذكر والدعاء كمًّا وكيفاً وعموماً

وخصوصاً ونشاطاً وفتوراً، فتنقل النفس في رياضة بلا قيد طليقة من التحديد والرسوم، مسامحة من التضييق على لون واحد، معفية من التقيد بكيفية خاصة عون على الاستمرار والإشراق والانفساح، وفي الوقت من ليل ونهار صفاء وتكدير.

وللأيام على بعضها خصائص وفضائل فعليها تُراض النفس، وكذلك ـ مثلاً ـ اللباس فما تيسر يُلبس بلا تحديد ولا تكليف، وكذلك الطعام والشراب وسائر المباحات، وكذلك السمت والأدب والخلق له إشراق وانطماس من حيث الرضا والغضب والحِلم والجهل والذنب والتوبة والسداد والخطأ، فطلب الأكمل مطلوب ولكن للعرف والعادة أثر في العادات.

الاعتراف بالواقع لابُدّ منه بلا قنوط ولا يأس، فلبعض المجالس نفحات بالخير: من صمت عن جهل، وتكلم بعلم أو مصاحبة وقار وتؤدة أو سماع فائدة، ولبعضها كدرٌ وشؤمٌ: من تكلم بإثم أو لغوٍ واستماع ما يشين أو طيش في حركة وانفراط في أدب، فالأول مطلوب واغتنامه مرغوب، وكأن هذا المجلس آخر مجلس في الحياة لكثرة الامتعاض عليه والندم حتى يُخل بما حصل من وقت جديد لعمل جديد، ومجالسة الناس أشكال وألوان، فمن عالم وعابد وصالح وعاقل وأحمق وموزون ومفرط واقع ولا محالة، فالاعتراف بهذا مؤكد وإنزال النفس هذه المنازل لابُدّ منه وترويضها على ذلك ضرورة.

والحياء عسر ويسر وصفاء وكدر وأمن وخوف وسرور وحزن

وترحة وفرحة واطمئنان وضحك وبكاء وانزعاج ونجاح ورسوب وصحة ومرض ونشاط وكسل، فعبادة الله مطلوبة في هذه الأحوال فإنها منازل للمسافر ولكل منزل حقه الذي يليق به، ولكل نفس صفات لا توافق الأُخرى، فلا يتقمّص الإنسان شخصية غيره فإنه قتل له، فلكل إنسان صوت خاص ولون خاص وصفات خاصة، فلا تقليد ولا تبعية للآخرين فيما هو من جبلّات النفس وطبائعها، نعم، الواجب الاقتداء بالأخيار في صفات الخير وما يُكتسب من الفضائل، ولكن ذلك ممتنع في الجبلّات التي جُبل عليها الإنسان من الطبائع التي لا تخلّ بالدين ولا بالمروءة، فالإنسان يتعرّف على نفسه ليعرفها بصفاتها.

إلزم منهج الرَّعيل الأوّل

من درس علوم السلف الصالح وذاق طعمها وشرب من معينها، وتفيَّأ ظلالها فإنه لا يريد منهجاً آخر غير هذا المنهج المقبول المحبوب، فهو منهج السداد والاستقامة وغيرُه ملتوٍ معوّج، وهو سهل يسير وسواه صعب عسير، وضوح في الرؤية، سلامة في العاقبة، أمن في المنقلب، حسن في المصير، سكينة في النفس، سعادة في الحياة. فيا من نصح نفسه ويا من خاف ربَّه ويا من احتاط لدينه أوصيك بمنهج السلف الصالح وهو ما كان عليه رسولنا ﷺ والصحابة الأخيار والتابعون الأبرار وأئمة الإسلام الأطهار عقيدة وعبادة وعلماً وخلقاً وسلوكاً ودعوة وحياة.

كلُّ المشارب غيرُ النيل آسنةٌ وكل أرض سوى جيرون جرداءُ

منهج السلف هو فهم الكتاب والسنة على فهم الصحابة والعمل بهما وتقديمهما وهجر كل بدعة وزيغ والإعراض عن كل نحلة ومذهب يخالف هذا النهج السوي والطريق الرضيَّ عسى الله أن يحشرنا مع تلكم الصفوة المجتباة والفرقة الناجية والطائفة المنصورة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾.

أما الفِرق الضالة الهاربة من الحق المتلصصة على الملّة الزائغة في الرؤية فهم أقلُّ وأذلُّ وأضلُّ من أن تعجب من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ومن سرى في دمه حب منهج السلف فإنه لا يتركه أبداً.

محـــا حبُّهـــا التـــي كُـــنَّ قبلهـــا وحلّت محلًّا لم يكن حُلَّ من قبل

حيَّا الله الإمام الأعظم والرسول الأكرم ﷺ وحيَّا الله أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا والصحابة والتابعين والحسن وابن سيرين وابن المبارك وأبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد وابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، اللهم أحببناهم فيك وقد قصرنا في العمل فاحشرنا معهم لأن رسولك ﷺ قال: «المرء يحشر مع من أحب».

رأيت أمريكـــا

رأيت أمريكا، رأيت أرضها وسماءها، وهواءها وماءها، فإذا هي ليست كأرضنا وسمائنا وهوائنا ومائنا، لأن تلك لا تحمل الإيمان والحب والطموح.

ورأيت أمريكا: هدير مصانع، وضجة معامل، وحركة إنتاج، لكنه

صخب بلا معنى، وأصوات بلا حياة، ليس فيها إيمان وحب وطموح.

ورأيت أمريكا: عيوناً بلا إيمان، وآذاناً بلا دعوة، وقلوباً بلا يقين، وجثثاً بلا رسالة، لأنها لم تعرف الإيمان والحب والطموح.

ورأيت أمريكا: طائرة وسيارة وسخانة وبرادة وحديداً وآلات، لكنها مسلوبة الطمأنينة والسكينة، لأنها فقدت الإيمان والحب والطموح.

ورأيت أمريكا: فإذا الكلب مقدس، والقطة مبجلة، والخنزير محترم، أما العالم فكادح لغير مصير، والمهندس ساع لغير هدف، والطبيب يعمل بلا احتساب وثواب، لأنهم ضلوا عن الإيمان والحب والطموح.

ورأيت أمريكا: امرأة مسفوكة الكرامة، وبيتاً مهدوم العفة، ومجتمعاً مهزوز المبادىء، لأنه ما أجاد الإيمان والحب والطموح.

ورأيت أمريكا: قطيعاً بلا راع، وركباً بلا قائد، وسفينة بلا ربان، ظلمات بعضها فوق بعض، لأن أمريكا ما عاشت الإيمان والحب والطموح.

ورأيت أمريكا: فإذا الذي أعجب الناس أغضبني، وإذا الذي أسرهم أحزنني، وإذا الذي أفرحهم غمني، لأني ما رأيت الإيمان والحب والطموح.

ما رأيت الإيمان بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا.

ما رأيت الإيمان بالفضيلة والإحسان والعدل والسلام.

وما رأيت الحب للأهداف الجميلة، والمبادىء الأصيلة والأخلاق الجميلة.

وما رأيت الحب لمن يستحق الحب، للبارىء المصور، الخلاّق الرزّاق، ذي القوة المتين، وللمصطفى الهادي الرحمة للعالمين، السراج المنير، وللدين الخالد، والرسالة العالمية، والمحجة البيضاء.

وما رأيت الطموح لمعالي الأمور، للثواب الجزيل، لسعادة القلوب وراحة الضمير.

وما رأيت الطموح لتزكية النفس، وطهارة الباطن، وغسل الجوارح وإنقاذ الناس.

ما كان الرفق في شيء إلا زانه

أعظم ما قد يفوت على بعض الدعاة والجماعات الإسلامية الرفق، فلا يصلون إلى نتيجة ولا يحصلون على ثمرة، لأن في الحديث: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» فتجد خطاب بعضهم حارًّا حادًّا ونبرته قاسية وكلامه تهديداً ووعيداً شديداً أكيداً لكل عنيد بليد مريد رعديد وتجد في قاموسه من الشتم والسب والنبز ما يخوّف الناس ويصرفهم عنه ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾.

فيا أيها الدعاة والوعاظ والمصلحون والخطباء رفقاً في القول ورفقاً في العمل ولِيناً في الخطاب ولِيناً في الخلق، خافوا الله في قلوب الناس أن تنفر، الهدوء في التعامل السماحة في الحوار، دعونا من الغضبات

العنترية والصولات المضرية التي ما قتلت ذبابة ولا ذبحت بعوضة وعليكم بهدي محمد ﷺ فهو سيد الدعاة وقدوة المصلحين وقد نهى عائشة أن ترد بعنف على اليهود فادعوا القلوب بالحب ووحّدوا النفوس بالإخاء، وأشيعوا في أرواح الناس الأمن وبشِّروا ولا تُنفِّروا ويسِّروا ولا تُعسِّروا، وإن رفضتم هذا فسوف تصطدمون بحائط شائك لا منفذ فيه ولا طريق.

الفرج بعد الشدَّة

سُنّة ماضية ثابتة لا تتغير: إن مع العُسْر يُسْرا وبعد الشدّة فرجاً، وقد قرأت ما كتب عن هذا الموضوع وسمعت كلام العلماء والأدباء والساسة والعامة، فكلهم مجمعون على أن كل شدة إلى رخاء وخذ بعض القصص السريعة غير المشهورة:

* رجل يشرف على الهلاك هو وأهله من شدة الجوع فيُهدى له سمكة منتنة فيشق بطنها ويجد في بطنها درة غالية باعها بآلاف الدنانير وصار غنيًّا.
* حدثني رجل من الصالحين أنه بات هو وأطفاله في جوع شديد وفي الصباح نزل إلى السوق وليس معه ريال واحد فناداه رجل لا يعرفه ودفع له ثلاثين ريالاً فأخذ ما يلزمه من طعام ولباس وفاكهة يوم كان للريال قيمة باهظة.
* رجل اشترى طيور الببغاء في بغداد بأربعمائة درهم فماتت عنده ولم يبق إلا واحد منها وقد خسر الرجل كل ما يملك فدعا ربّه ونزل السوق بالطائر فشراه أحد الوزراء بألف درهم فعاد غنيًّا.

* نزل داعية مشهور من اليمن بأهله في إحدى البوادي فانقطع عنهم الماء وأشرف هو وأطفاله على الهلاك فقام وصلى ودعا وبكى فنزل عليهم الغيث في نفس اللحظة حتى امتلأت الأودية.

* أمر المنصور بن أبي عامر بقتل رجل فأراد أن يكتب يقتل فكتب يطلق ثلاث مرات يكرر هذا العمل وفي الأخير صاح قائلا: هذا فوق إرادتي، وهذا من الله، وأمر بإطلاق الرجل.

* توعد الخليفة الهادي أخاه هارون الرشيد بالقتل فقامت أمّه تترجاه وتبكي عنده فرفض طلبها فصفت قدميها على مصلاها تدعو القهار جلَّ في علاه فسمعت صوت الهادي فأتت وإذا هو في سكرات الموت ثم ذهبت روحه في تلك الساعة.

* قبض يزيد بن أبي مسلم والي أفريقيا على أحد عمال عمر بن عبد العزيز وحلف أن يقتله قبل الصلاة وقد حانت الإقامة فانشغل وأقيمت الصلاة فقام يصلي بالناس فاغتيل الوالي في الصلاة، وفك هذا الرجل ونجا سالما، فسبحان الغالب على أمره جلّ في علاه. ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾.

طريقة الحفظ

من أراد الحفظ ـ وأعظمه وأجله حفظ القرآن ـ فليقلل المحفوظ وليكرره كثيراً حتى يطبع في ذهنه ويرسخ في قلبه، فبعضهم كان يكرر المقطع من القرآن مائة مرة وبعضهم سبعين مرة ولا ينتقل إلى مقطع آخر حتى يتقن الأول لئلا يقع في الاضطراب. وعليه أن يكثر من الاستغفار، ولا

يرهق نفسه بحفظ عدة متون فإن النفس إذا كلَّت عميت ومن رأيي أن طالب العلم إذا أتقن حفظ القرآن كفاه هذا، وبقية العلوم تفهم فهماً، ولم يكن علماء السلف يحفظون الفقه وأصوله والمصطلح والفرائض إنما فعل ذلك المتأخرون وهم أقل علماً وفهماً، ومنهم من حفظ هذه المتون وأُنسي القرآن وهذا من قلة الفقه، ومنهم من حفظ ألفية العراقي في علوم الحديث وأعرض عن الفقه الذي عليه مدار العلوم وهذا خطأ. والموفق من وفقه الله.

وقفات تدبُّر

قاعدة: القرآن يعطي كل قضية قدرها وحجمها ومساحتها من الاهتمام والذكر، فمثلا التوحيد لما كان الأصل الأصيل أكثر الله ذكره، وأبدى وأعاد حتى صار كل القرآن توحيداً، فهو إما أمر به أو نهي عن ضده أو خبر عنه، ومثل الغيبة ذكرت بقدرها في آيات معدودة، إلى غير ذلك من الأمثلة.

قاعدة: إذا نهى الله عن شيء أمر بضده، وإذا أمر بشيء نهى عن ضده، فأمر بالتوحيد ونهى عن الشرك، ونهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأمر بالبر والتقوى والصلاح.

قاعدة: المقصود في قصص القرآن العظة والاعتبار فهو يترك التفاصيل والجزئيات التي لا طائل منها، كلون كلب أهل الكهف، وأنواع الطيور التي أمر إبراهيم عليه السلام بضمها إليه، وغير ذلك.

قاعدة: ذكر سبحانه في كتابه أن مهمة الرسل عليهم الصلاة

والسلام هي البشارة والنذارة، والإشهاد في الآخرة على أممهم، يبشرون بالجنة وينذرون النار، وهذه مهمة كل مصلح وداعية، فليس لهم مطلب ولا مقصد إلا هذه المهمة العظيمة.

فـائـــدة

الصحيح أن غير المكيل والموزون لا يحرم النسا في شيء من ذلك، سواء بيع بجنسه أو بغيره، متساوياً أو متفاضلاً.

قال عمر رضي الله عنه: نُهينا عن التكلُّف

فلا تكلف في القول بتشقيق الخطب والتفاصح وطلب الإغراب، والتشدق بالألفاظ وتنميق السجع، والتفيهق لقصد الرفعة.

ولا تكلف في الفعل بإجهاد النفس، والمشقة على الجسم، وحمل الأمر في العبادة، بل القصد.

ولا تكلف في العلم بالخوض فيما لا يغني، والغوص على الدقيق، وتعمد الأغلوطات، والسؤال عما لم يقع.

ولا تكلف في اللباس والهيئة بالإسراف والبذخ، وإضاعة الوقت في التزين، وكذلك لا تكلف للتبذل والتصنع بالتقشف لإرضاء الناس.

ولا تكلف في المعيشة بالإنفاق فوق الطاقة، وتحمل الدَّين من أجل نفع الناس، وإرهاق القلب بجمع المال أكثر من الحاجة.